سياقات مادة (ص ع ق) بين الدلالة والتداولية

د.عشري محمد علي محمد (*)

ملخص الدراسة

تهدف الدراسة إلى الوصول لآليات العمل التداولي التي تتحكَّم في إنتاج الكلام وفهمه، وذلك من خلال النصوص العربية الفعلية لمادة (ص ع ق)، خاصة أن هذه المادة متعددة المعاني، ومن ثم تكشف عن احتياجات مستخدمي اللغة من أمور تتعدى الأطر اللغوية نفسها، ويفرضها سياق الخطاب وملابسات الموقف.

ولا شك أن النظرية التداولية تدرس اللغة في الاستعمال، حيث يستند هذا الاستعمال إلى كمية ضخمة من المعارف حول الكون لمحاولة الوصول إلى معنى المتكلم، كما يظهر من خلال هذه الدراسة أن على المتلقي أن يكون على علم بالأحداث التاريخية لفهم بعض النصوص، وقد تعرضت الدراسة أيضًا لظاهرة المشترك اللفظي ودور التداولية في ترشيح المعنى المناسب من بين المعاني المتعددة للكلمة، وهنا تأتي نظرية لماريون كاريل التي تُسمَّى المجموعات الدلالية، وهي تركِّزُ على السياق الكلامي الذي أُنتجتْ فيه الجملة؛ لأن دلالات الكلمات تتضح من خلال تعالقِ بعضها البعض.

أثبتت الدراسة أن للسياق اللغوي وغير اللغوي دورًا حاسمًا في ترجيح أحد المعاني على غيره في النصوص التي تحتمل أكثر من وجه دلالي، كما أوضحت الدراسة أن بعض النصوص تعتمد على الحقائق الدينية المشتركة بين المتكلمين.

---

* – أستاذ البلاغة والنقد المساعد ، قسم اللغة العربية –كلية الآداب – جامعة السويس

قد اتضح من خلال الدراسة أن الدلالة المعجمية مرتبطة بما قِيل فقط، وأن الاستلزام الخطابي مرهون بما تمّ تبليغه عن طريق الاستدلال، والقول مختلف عمّا تم تبليغه، وتنتقل الدراسة لموضوع الاستعمال الحرفي والاستعمال غير الحرفي، وتَبَيَّنَ أن استخدام المتكلم للمجاز يجعل المتلقي أكثر تشغيلًا لقدراته الاستنباطية، كما اهتمت الدراسة بتوضيح الدلالة المركزية والدلالة الهامشية لمادة (ص ع ق).

Contexts of the Subject (saad – ‘ayn - qaaf) Between Semantics and Pragmatics

Abstract

The research paper seeks to reach the mechanisms of pragmatic action that control the production and understanding of speech, through the actual Arabic texts of the subject (saad – ‘ayn - qaaf), especially since this subject is a multi-meaning one. Thus, the researcher reveals the needs of language users for matters that go beyond the linguistic frameworks, that are imposed by the context of speech and the circumstances of the situation.

There is no doubt that the pragmatic theory is the appropriate approach for this paper. Because it studies the language in use, as this use is based on a huge amount of knowledge about the universe to try to reach the meaning intended by the speaker. In addition, it becomes clear through the paper, that the recipient must be aware of the historical events to understand some texts. The paper also addresses the phenomenon of verbal commonality and the role of pragmatics in selecting the appropriate meaning of the word which has multiple meanings. Hence, the researcher uses the theory of semantic groups by Marion Carrel, which focuses on the verbal context in which the sentence is produced since the meanings of words become clear through their relationship to each other.

In addition, the research paper demonstrates that both the linguistic and non-linguistic contexts have a decisive role in giving preference to one meaning over another in texts that have more than one semantic aspect. The paper also shows that some texts depend on religious truths shared among the speakers.

Thus, it has become clear through the paper that lexical significance is linked to what was said only, and that rhetorical obligation depends on what

was communicated through inference, and what is said is different from what was communicated. The research paper moves to the topic of literal use and non-literal use, and it turns out that the speaker's use of metaphor makes the recipient more active in his deductive abilities. It also focuses on clarifying the central significance and marginal significance of the subject (saad – 'ayn – qaaf).

مقدمة

تروم الدراسة الوصول إلى آليات العمل الدلالي والتداولي التي تتحكَّم في إنتاج الكلام العربي وفهمه، وذلك من خلال إحدى المواد اللغوية، وهي مادة (ص ع ق) عن طريق حصر أنواع متباينة من نصوصها من ناحية، وتطورها في فترات زمنية متباعدة من ناحية أخرى، خاصة أنها، مثل كثير من المصادر المعجمية، متعددة المعاني، ومن ثم نستطيع الوقوف على أنماطها في التواصل، حيث يمكن الكشف عن الموارد التي يحتاجها التواصل البشري من الأرصدة المعجمية، وعن احتياجات مستخدمي اللغة على المستوى التداولي من استدلالات وأعراف ومعلومات تاريخية وحقائق دينية واجتماعية وغيرها من أمور تتعدى الأطر اللغوية، لكن تفرضها ملابسات الموقف.

إذا كانت الدلالة أعقد مستويات اللغة فإن هذه الدراسة تسير في مسار أبعد من ذلك فهي محاولة للكشف عن كيفية عمل النظام التداولي في المادة المختارة، بما يجعل الباحثين يُدْرِكون طرق عمل المواد اللغوية، ولا شك أن محاولة حصر معاني مادة لغويةٍ ما وتبويبِها لا يعني أبدًا أن يقف ذلك حجر عثرة أمام تطورها واستغلال معانيها، بل لقد كشفتِ الدراسة أن المتحدثين باللغة يستثمرون أحيانًا بعض المعاني القديمة للمفردات في الوصول إلى أخرى حديثة، لتلبية متطلبات العصر وملاحقة تغيراته المستمرة، حيث تشترك الدلالة الحديثة مع القديمة في بعض عناصرها التكوينية، بما يسمح بالتداول الناجح بين المتكلمين.

إن تناولَ الدراسة لمعاني المفردات في المعجم يهدف إلى الوصول لمعاني الجمل، ومن ثم أشرتُ في المقام الأول إلى استخدامات (ص ع ق) في النصوص الاستعمالية قبل المعجمية؛

لأن الأولى أشمل من الأخيرة، فهي الغاية المنشودة لتحديد المعاني، ولذلك ركَّزت الدراسة على دلالة الجملة، وليست المفردة، ومن غير الممكن حصر كل استعمالات (ص ع ق)، فهذا أمر يصعب تنفيذه لكثرة استخداماتها وتعدد معانيها، وإنما قمتُ باختيار بعض النصوص بعدِّها نمطًا لهذه المعاني؛ لأثبتَ أنه من الممكن حصرها والسيطرة عليها، وأن معرفة طرق استنباطها ليست أمرًا مستحيلًا، يقول أحمد الصمعي: "إن اللغة تتضمن بطريقةٍ ما في قواعدها الدلالية تعليمات موجّهة بصفة تداولية، إلا أنه أمام ثراء السياقات، وأمام لا نهائية المقامات يصبح من غير الممكن الإحاطة بجميع استعمالات كلمة يتعين الانتقال من أنموذج القاموس إلى أنموذج الموسوعة" (١).

ومع أنني أتفق مع النص السابق في أن التواصل اللغوي في حاجة إلى المعرفة الموسوعية فإنه لا يصعب، في الوقت ذاته، تقنينُ مادةٍ لغويةٍ داخل الجمل التي تَرِدُ فيها، إلا أن ذلك يحتاج لأدوات معرفية وثقافية كثيرة، وهو ما سيتضح في هذه الدراسة، أضف إلى ذلك ما تحظى به اللغة العربية بصفة خاصة من ثروة هائلة، وتُسهم ظاهرة المشترك اللفظي في زيادة هذه الثروة بشكل كبير، كما أن هذه الظاهرة تثير الذهن للبحث عن المعاني المقصودة في النصوص المختلفة، مما يؤدي إلى إعمال الفكر في الأساليب المتعددة للوصول إلى الدلالة المناسبة للسياق.

ومن ثم تهدف الدراسة إلى إمكانية الكشف عن المراحل التي يحتاجُها فهم الكلام، بدايةً من المعجم ووصولًا إلى مُجْمَلِ القرائن التداولية التي تشارك في تحديد المراد، مع الأخذ في الحسبان أنني اعتمدتُ على النصوص التواصلية التي استُخدمت فيها (ص ع ق) في مصادرها المختلفة، ولم أعتمد على الأمثلة المصنوعة، وتلك النصوص لا تقف عند عصر بعينه، وإن كانت تركز في مجملها على عصور الازدهار في لغتنا العربية، من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي، وهي

أيضًا لم تُغْفِلْ بعض النصوص التي وردت في العصر الحديث، كما أنها لم تقف عند نوع معين، فشملت نصوصًا من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب: شعره ونثره.

وعند دراسة معاني هذه المادة استُخْدِمت مُحَدِّدات تداولية، من أجل الوصول للهدف، خاصة في حالات كثيرة منها:

أولًا: تعدُّد المعاني للمفردة في ظاهرة الاشتراك اللفظي.

ثانيًا: استنتاج المعاني المُسْتَلْزَمة عن طريق تراكيب لا تنسجم دلالتها المعجمية الصِّرْفة مع السياق.

ثالثًا: الخروج إلى معانٍ مجازية وبلاغية أخرى تُفْهَم من القرائن الموجودة حسب مقتضى الموقف الذي وردت فيه.

كما تحاول الدراسة أن تثبت، من خلال التراث العربي، وجود تداولية عربية قبل أن تصبح التداولية اليوم هي النظرية الأشهر في الغرب، وذلك من خلال إبراز مبادئ وأسس استَعْمَلَها العربُ في كثير من الحقول المعرفية مثل مجال الدراسات القرآنية والبلاغة العربية وغيرهما.

المعنى بين الدلالة والتداولية

لا شك أن أي خطاب يكون القصد من ورائه توصيل المعنى، وعلم الدلالة هو الذي يدرسه، ومن ثم فهو الغاية المنشودة من البحث في كل الاتجاهات اللغوية قديمًا وحديثًا، ولصعوبة هذا الموضوع مقارنة بالقضايا اللغوية الأخرى قال عنه بلومفيلد: "إن دراسة المعنى هي نقطة الضعف في النظرية اللسانية"[٢]، وكان ذلك سببًا لتراجع البعض عن دراسته نظرًا لعدم سهولة إخضاعه لقواعد اللغة، كما هو الحال في الأصوات والصرف والنحو، وعلى الرغم من وجود محاولات في البنيوية على سبيل المثال لدراسة المعنى، إلا أن علم الدلالة البنيوي قد توقف عند حدود المعجم، أما تشومسكي فقد نظر إليه من زاوية كونه عنصرًا ثانويًّا مترتبًا على البِنى الإعرابية[٣].

ولما كانت قضية المعنى من الأمور التي لا تتوقف على معرفة الجملة في المعاجم، أو من خلال البناء النحوي لها فحسب، فقد دعت الحاجة إلى علم جديد يدرس هذه القضية من خلال علاقتها بظروف الاستعمال، أي يربط بين المفردات والتراكيب من ناحية، وبين السياق الذي وردت فيه من ناحية أخرى.

من هنا نشأت النظرية التداولية لدراسة المعنى في النصوص الفعلية للغة لإزالة اللبس الذي قد يعتري الكلام في طريقه من المُرسِل إلى المتلقِي، وتقوم ظروف التكلم بدور حاسم في فهم المقصود، حيث يرى أصحاب هذه النظرية "أن المعنى ليس شيئًا متضمنًا في حَبْك الكلمات فحسب، وأنه لا يَنْتُج بواسطة المتكلم وحده، أو السامع وحده، إن المعنى عملية ديناميكية فعّالة تقتضي تداولَ المعنى بين متكلم وسامع"[٤]، فكلاهما يستعين بما قيل في مواقف سابقة، سواء أكان مستخدمُ اللغة مشاركًا في إنتاج الكلام أم في تأويله.

لقد أدرك علماء التداولية أن محاولة الوصول إلى مراد المُرسِل تحتاج إلى عمليات استنباطيّة، ومن ثم، فالأمر لا يتوقف على مجرد معرفة قواعد معينة، بل إن أهل اللغة يحتاجون في كثير من الأوقات إلى معلومات غير لغوية، من خلال استعمال اللغة في المواقف المختلفة، وقد بيَّنت آن روبول، وجاك موشلار "كيف يستند هذا الاستعمال إلى كمية ضخمة من المعارف حول الكون، والتي يعتمد عليها المخاطَبون؛ ليستدلُّوا على ما يريد المتكلم أن يقوله لهم"[٥]، وحسب ولسن وسبربر يتحقق تأويل الجملة عن طريق سلسلة من المفاهيم التي تفضي إلى معلومات تشكل مقدمات تُستخدم في العمليات الاستدلالية[٦]، وهو ما أطلقَا عليه المعرفة الموسوعية.

على الرغم من وجود مواضعات خاصة بالنظام اللغوي في كل مستوياته، وهي ذات طابع ترميزي، إلا أن استعمال اللغة لا يقتصر على مجرد الترميز في مرحلة إنتاج اللغة، ولا فك الرموز في مرحلة التأويل؛ لأن العمليات الاستدلالية ليست من خصائص اللغة وحدها[٧]، فإن للعمليات التداولية دورًا كبيرًا في تحديد ما يتم تبليغه، انطلاقًا من مقدمات منطقية تشكلها

المعلومات الموجودة في السياق، والمستقاة من تمثّل الكون وفقًا لمبدأ المناسبة[٨]، ولنضرب لذلك مثالًا، يقول لبيد بن ربيعة، وهو أحد شعراء المعلقات، يرثي أخاه لأمه أربد:

ما إن تُعَرّي المَنونُ مِن أَحَدِ ... لا والِـــدٍ مُشـــفِقٍ وَلا وَلَـــدِ

أَخشى عَلى أَربَدَ الحُتوفَ وَلا ... أَرْهَـبُ نَـوءَ السِّـماكِ والأَسَـدِ

فَجَّعَنـي الرَّعدُ وَالصَّـواعِقُ بِـال ... فـارِسِ يَـومَ الكَريهَـةِ النَّجُـدِ[٩]

يعرِفُ قارئ هذا الشعر أن أخا لبيدٍ قد أُصِيبَ بإحدى مصائب الدهر، ومن ثم فَقَدَ حياته على إثرها، حيث أهلكته الأنواء والرعود والصواعق، وينبغي للقارئ أيضًا أن يكون على عِلْمٍ بهذه الظواهر الكونية، ومن خلال ذلك يستطيع فَهْمَ الأبيات السابقة، حيث يرى الشاعر في البيت الأول أن المصائب لا تترك أحدًا، ولا تُفَرّق بين والدٍ ولا مولودٍ، ومن ثم، خاف لبيد على أخيه كلَّ سببٍ من أسبابِ الموت، لكنه لم يكن يتوقع أن يكون موته بهذه الطريقة، وفي البيت الثاني ذَكَرَ الشّاعِرُ نَوْءَ السِّماك، وهو نجمٌ كان مصدرَ شُؤْمٍ عند العرب، بسبب ما يُحْدِثه من أحوال للرياح والأمطار والحر والبرد عند مَيلِ هذا النجم للغروب، ثم يُبَيّنُ في البيت الثالث أنه عظُم عليّه فَقْدُ أخيه، لقد مات بسبب صاعقة أصابته فقَتَلَتْه.

ومن هنا ينبغي لمتلقي هذه الأبيات أن يعرف أن الصاعقة "جسم ناريّ مشتعل يسقط من السماء في رعدٍ شديد، وهو ناجم عن تفريغ كهربيّ بين سحابة مكهربة والأرض أو بين سحابتين مكهربتين"[١٠]، مما يؤدي إلى حدوث وميض يمتد من الأرض إلى أعلى يُسمى البرق، كما أن هذا الضوء يعقبه صوتٌ عالٍ قادم من السماء، وهو ما يُسمى الرعد، وعلى أثره تكون الصواعق، وحرارتها قد تتسبب في قتل الإنسان وتدمير المنازل والأشجار وغير ذلك.

نستنتج مما سبق أن فهمَ أبياتِ لبيدٍ مُتَوَقِّفٌ على المعرفة بهذه الظاهرة الكونية، أضف إلى ذلك أن على متلقي هذا الشعر أن يكون على عِلْمٍ أيضًا بالثقافة التاريخية، ومن ثم فلسائل أن يسأل عن سبب هذه الحادثة التي راح أربد ضحيتها، ومدى تأثر الشاعر ذاته بهذه الحادثة

المؤلمة، وربما كانت سببًا في إسلام لبيد وإيمانه بالدين الجديد، على القارئ لكي يفهمَ هذه الأبيات أن يعرف أيضًا الموقفَ الذي قِيلت فيه، ويقف على حكاية أربد مع النبي مُحَمَّد، صلى الله عليه وسلم، حيث يُذكرُ أن أربد، وهو الأخ الأكبر للشاعر، قد وَفَدَ على الرسول، في عام الوفود، مع عامر بن الطفيل، فعَرَضَ الرسول عليهما الإسلام فلم يُسْلما، بل تآمرا على قتله، فدعا عليهما، وفي عودتهما تُوفيّ عامر بالطاعون، وأصابت أربد صاعقةٌ فأحرقته.

أثّر هذا الموقف تأثيرًا كبيرًا في لبيد، ومن ثم رثى لبيد أربد وبكاه بكاءً مُرًّا في شعره وقصائده، لدرجة أن شهرة هذا الرثاء في عصره قد تصل إلى شهرة رثاء الخنساء لأخيها صخر، فعندما تُذْكَر الخنساء التي ملأت الجاهلية بكاء وعويلًا على أخيها صخر يُذْكَر أيضًا لبيد ببكائه على أخيه أربد الذي كان شديدَ التعلق به، والإعجاب بشخصيته، لكن ثمة فرق بين الخنساء ولبيد وهو فرقٌ بين طبيعة تلقي المصائب عند المرأة والرجل، فحين بكى لبيد أخاه صوّر مشاعرَ الحزين الذي نزلت به المصيبة فآلمته، ولكنها لم تستطع أن تَهُدَّهُ فييأس، بل تجلّدَ تجلّدَ الرجال، ولذلك فحزنُه حزنُ حكيمٍ يَتَأَسّى بمصائب الأقدمين، أما الخنساءُ فكانت في مراثيها امرأة، وقد صوَّرت عواطفَها في جزعِها ويأسِها(١١).

لقد أَخَذَ لبيدٌ العبرةَ والعظةَ من هذه الحادثة؛ لأنه فَقَدَ أخاه الأكبر، بعد مقتل أبيه، من ناحية، ومن ناحية أخرى، وهذا هو الأهم، عَلِمَ لبيدٌ أنه لا يُحارِب الدينَ أحدٌ إلا عُوقب بأشد أنواع العقاب فأسلم، ولذلك وَرَدَتْ رِوايةٌ تَذْكُرُ "أن لبيد بن ربيعة قَدِمَ على رسول الله مع وفد بني كلاب، بعد وفاة أخيه أربد وعامر بن الطفيل، فأسلم وهاجر وحسن إسلامه"(١٢).

المشترك اللفظي بين المعاني المعجمية والمعنى التداولي

هناك ظواهر عامة تتفق فيها كثير من اللغات، من تلك الظواهر تعدد الدال للمدلول الواحد، ومنها أيضًا تعدُّد المدلول للفظ الواحد، تُسَمَّى الأولى الترادف، والثانية المشترك اللفظي، والحقيقة أن مشكلة الترادف من طبيعة إبداعية، بينما تبقى مشكلة الاشتراك اللفظي

من طبيعة تأويلية[١٣]، ومن ثم تدخل هذه الظاهرة، وليست ظاهرة الترادف، في نطاق هذه الدراسة؛ لأنها تحاول أن تصل للمعاني المتنوعة لمادة واحدة داخل النصوص العربية المختلفة، وهنا تكمن صعوبة لا بد للدلاليّ أن يحاول إدراكها، وهي أن الكلمات الأحادية في الدلالة نادرة جدًّا [١٤].

يرى كثير من اللغويين أن طبيعة المعنى في المعجم مختلفة عنه في السياق[١٥]، ففي الحالة الأولى تكون المعاني متعددة، وفي الحالة الثانية يتم ترشيح أحد هذه المعاني لتأويل الجملة، فإذا تعددت في مفردات المعجم فينبغي ألا تتعدد في الجملة حيث تتوفّر محددات لغوية وزمانية ومكانية وغير ذلك مما يُساعد في التعرف على ما يريده المتحدِّث، وهذا هو الموضوع الذي نشأت من أجله التداولية.

وهذا التعدد لمعاني مفردات المعجم ظاهرة عامة، بحيث لا تكاد تخلو كلمة منه، وهو أحد مميزات اللغات البشرية؛ لأنه يجعل المفردة تُستخدم بشكل أكبر، وعلى نطاق أوسع، "إن تعدد معنى الكلمة في المعجم يرجع إلى صلاحيتها للدخول في أكثر من سياق"[١٦]، ومن ثم نستطيع أن نحدد معاني الكلمة من خلال الاستخدامات المتعددة لها، وهذا ما سيُعطي الكلمات ثراءً استعماليًّا متطورًا وفعّالًا، وفي الوقت ذاته تكون المفردة مُحَصَّنَةً من عيوب التشويش؛ لأن للسياق دورًا حاسمًا في إزالة الغموض الناتج عن تعدد المعنى.

ثمة نظرية لماريون كاريل تُسمَّى المجموعات الدلالية، وهي تَفْتحُ أُفُقًا جديدًا في الحجاج لدى ديكرو وأنسكومبر، فهي تجمع بين الدلالة والتداولية، وهذه النظرية تركِّزُ على الحدث الكلامي الذي أُنتجتْ فيه الجملة؛ لأن اللفظة لا يتضح معناها إلا إذا استُخدمت ضمن تركيب يُبْرِزُ لنا طبيعة المجموعات الدلالية التي تنتمي إليها اللفظة، على أساس أن المدلول يختلف من مجموعة دلالية لأخرى، ومن ثم تكتسب الألفاظ قوتَها الحجاجية لا من سماتها الداخلية فقط، وإنما من خلال استعمالاتها المختلفة، ومجمل ما ترمي إليه كاريل أن دلالات الكلمات تتضح من خلال تعالقِ بعضها مع بعض[١٧].

إن ارتباط المفردة بمجموعة من الكلمات التي تتوارد يجعلها خاضعة لأنظمة دلالية وتداولية تفرضُ نفسها على طريقة تأويل النصوص، وقد فطن البلاغيون القدامى لدور السياق الداخلي في تحديد معنى الجملة، فقد جعلوا لكلمات التركيب دورًا في اختيار بعضها لبعض، يقول السكاكي: "لكل كلمةٍ مع صاحبتها مقام، ولكل حدٍ ينتهي إليه الكلام مقام"[١٨]، هنا تتفق التداولية مع البلاغة العربية في أن اختيار الكلمات داخل الجمل يكون له دور في توضيح المقصود.

لنأخذ بعض الأمثلة للصاعقة؛ لنقف على التنوع الموجود في معانيها، وتوصيل المراد حسب الظروف التي قِيل فيها اللفظ، وفقًا للمجموعات الدلالية التي تجعلنا قادرين على ترجيح معنًى على آخر، والجدول التالي يوضّح ذلك:

جدول معاني الصاعقة

م	النص	المعنى	القائل	المصدر
١	"تَكْثُرُ الصَّوَاعِقُ عِنْدَ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ، حَتَّى يَأْتِيَ الرَّجُلُ الْقَوْمَ، فَيَقُولَ: مَنْ صُعِقَ قِبَلَكُم الغَدَاةَ؟ فَيَقُولُونَ: صُعِقَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ	نارٌ تسقُطُ من السَّماءِ في رَعْدٍ شديدٍ لا تأتى على شيءٍ إلاّ أحرَقَتْه، ومن ثم تتسبب في موت الإنسان.	النبي مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم	مسند أحمد، (١٨/ ١٦٣)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م

٢	كَأَنَّ صاعِقَةً في جَوفِ بارِقَةٍ زَئيرُهُ واغِلًا في أُذنِ نابِحِها	الصَّوْتُ الشَّدِيدُ مِنَ الرَّعْد	أبو تمام	الخطيب التّبريزيّ، شرح ديوان أبي تمّام، (١، ٣٥٠)، تحقيق: مُحَمَّد عبده عزام، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة.
٣	وَتَلْقَوا كَمَا لاَقَتْ قُرُونٌ كَثِيرةٌ مَضَتْ قَبْلَكُمْ منْ صَاعِقَاتٍ وَأنْحُسِ	العذاب المُهْلِك	أبو بكر الصديق	ديوان أبي بكر الصِّدِّيق، (١/ ٥٩)، تحقيق: راجي الأسمر، الطبعة الثالثة، دار صادر للطّباعة والنّشر، بيروت، ٢٠٠٧م.
٤	قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، فصلت: ١٧	صِيحَة العَذاب	مُحَمَّد الأمين الشنقيطي	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٧/ ١٣٨)، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، جدة.
٥	وذُنابى كلّ رِيحٍ مسَّها مسَّهُ صاعِقةٌ من كهرباءِ	مرور تيار كهربائي	أحمد شوقي	ديوان أحمد شوقي، (١/ ٢٩٦)، الطبعة الأولى، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١١ م.

يتضح من خلال الجدول السابق أن الصاعقة تدور معانيها حول النار المُحْرِقة المصاحبة للبرق والرعد، والصوت الشديد من هذا الرعد، والموت الذي يحدث من وقوع هذه الظاهرة، والعذاب المهلك، وصيحة هذا العذاب الذي يسلطه الله على الأمم التي كذَّبَت رسلَها، والصاعقة الكهربية، وهي الصدمة التي تصيب مَنْ يتعرض للتيار الكهربي.

نأتي هنا إلى تحليل الصاعقة في الأمثلة السابقة، ففي المثال الأول جاءت لفظة الصواعق في حديث النبي ـ صلّى الله عليه وسلم ـ عن علامات الساعة، ومعلوم أن الصاعقة هي النار التي تأتي من السماء، تتسبب في أضرار كثيرة للإنسان وغيره، ومن ثم فلا يتبادر إلى الذهن للصاعقة إلا ذلك، ومن الظواهر الكونية المعروفة أنه أثناء العواصف الرعدية والبروق تقع الصواعق، ويخبر الرسول بأن هذه الأحداث تكثر عندما تقترب الساعة، ومن ثم تكون سببًا من أسباب كثرة الموت، فالفعل صُعِقَ هنا أي: مات، ويكون الحديث النبوي عبارة عن سبب ونتيجة، السبب هو الصواعق: النيران، والنتيجة هي الصعق: الموت.

أما المثال الثاني فيمدح أبو تمام الفَضْلَ بن صالح، ويُكَذِّب من قال: إنه قَتَلَ أخاه عبيد الله حتى يتزوّجَ بامرأته، ومن ثم جعل الشاعر عدو الفَضْلِ كالكلب النابح، والعرب تشبّه الرجلَ الخسيس يتكلم في الشريف بالكلب النابح، وواضح من استخدام أبي تمام للأُذن والزئير، وهو صوت الأسد، أن المقصود هنا هو الصوت الشديد الذي ينتج عن الصواعق، دون المعاني الأخرى.

بهذا المعنى أيضًا فسّر الأزهريُّ قولَه تعالى: ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنْ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ البقرة: ١٩، يقول: "أراد بالصواعق صوت الرعد ... فلا يسدُّون آذانهم إلا من شدة صوت الرعد"[١٩]، كما استَخْدَم الشاعر عوف بن معاوية (عُويف القوافي)، وهو من شعراء العصر الأموي، الصَّعْقَ أيضًا بالمعنى عينه، يقول:

لاحَ سَحَابٌ فَرَأَيْنا بَرْقَـهْ

ثم تدَلَّى فَسَمِعْنَا صَعْقَـهْ[٢٠]

فوجود الرؤية مع البرق، والسماع مع الصعق يؤكد على أن معناه صوت الصاعقة دون المعاني الأخرى للصعق.

أما المثال الثالث فهو من أبيات لأبي بكر الصديق، ﷺ، يذكر فيها قصة الإسراء والمعراج، ومعلوم أن أبا بكر عندما عَلِمَ بهذه القصة صدّقها، ولُقِّب مِنْ يومها بالصديق، وهو يدعو قومه إلى التصديق بهذه القصة، ويحذرهم من إنكارها حيث يقول قبل البيت السابق:

فَلا توعِدوهُ وَاِقبَلوا ما أَتاكُمُ بِهِ مِن رِسالاتٍ مَتَى توحَ تُدرَسِ

وَإِلّا فَإِنّي خائِفٌ أَن يُعَذَّبوا وَيُضرَب عَلى أَبْصارِهِم ثُمَّ تُطمَسِ

فإذا فعلوا ذلك سيقع عليهم العذاب، فيأخذ الله أبصارهم ويصيبهم العمى. ويذكّرهم بالأمم السابقة التي كذّبت رسلهم فصبّ الله عز وجلّ عليهم العذاب صبًّا، وقد عطف أبو بكر أنحس على الصاعقات، وهي جمع النَّحْس وهو الضُّرُّ والضيق والشدة، من هنا يتضح أن أبا بكر استَخْدَم الصاعقات وهو يقصد العذابَ المُهْلك حيث يستقيم سياق الأبيات به، فيصبح أكثر مناسبة للغرض الذي يرمي إليه الشاعر، ولا شك أن الصاعقة بهذا المعنى من المجاز.

والمثال الرابع هو قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، فصلت ١٧، فهو يتناول قصةَ ثمود التي وردت في القرآن الكريم في أكثر من موضع، وهي قصة قوم صالح عليه السلام، الذي دعاهم للإيمان، فلم يهتدوا، وعقروا الناقةَ التي أرسلها الله لهم آية، ومن ثم نزل بهم العذاب، الذي عبر عنه القرآن بعبارات كثيرة، منها: الصاعقة، والصيحة، والرجفة، وغير ذلك، و"معنى هذه العبارات كلها راجع إلى شيء واحد، وهو أن الله أرسل عليهم صيحة أهلكتهم، والصيحة الصوت المزعج المهلك، والصاعقة تطلق أيضا على الصوت المزعج المهلك، وعلى النار المحرقة، وعليهما معًا"[٢١]، ويبدو أن كل ما يتعلق بمعاني الصاعقة من العذاب أو صوته أو صدمته ينحو باتجاه الدلالات الضمنية، وهو ما سيشير إليه الزمخشري فيما بعد، ويتضح مما سبق أيضًا أن

الآية عبارة عن سبب ونتيجة، فبسبب كفرِ ثمود كانت النتيجةُ عقابًا من الله، بأشد ما يكون العقاب لدرجة أن الأرض تحركت من تحتهم فاجتمعت عليهم الصيحة والصاعقة والرجفة؛ ليكونوا عبرة لغيرهم.

أما المثال الخامس فيَصِف فيه أحمد شوقي طائرةً وصلت من فرنسا إلى القاهرة، وقد أجاد في هذا الوصف إجادة تامة، يقول:

وجَنَاحٍ غيرِ ذي قادِمةٍ كجناح النحل مصقولِ

وذُنابى كلّ رِيحٍ مسَّها مسَّــهُ صــاعِقةٌ مــن

يشبه شوقي الطائرةَ بالطائر إلا أنه لا ريشَ في جناحَيْها، فالقادمة هي الريش في مقدم الجناح، كما يشبهها بجناح النحل أيضًا، والذُنابى هو الذَّنَبُ وهو ذيلُ الطائر، وقام الشاعر هنا أيضًا بتشبيه تأثير مؤخرةِ الطائرة في الريح بقوةِ الصاعقة الكهربية، وهو معنى حديث للصاعقة لم يَرِدْ في الأمثلة السابقة، ولا حتى في المعاجم العربية القديمة، وهو أمر مفهوم؛ لأن الشيء لابد أن يُوجَدَ أولًا، ويُطْلق عليه اللفظ بعد ذلك، فلا يتوقف الأمر على الدلالات الموجودة في معاجم اللغة فقط، وإنما تؤثر فيها أيضًا كلُّ التغيرات التي تطرأ على العصر الذي يُستخدم فيه النص؛ لأن هذه التغييرات تنعكس على الألفاظ الناقلة لها، وتشترك في صياغتها الجماعة اللسانية داخل المجتمع، فلفظة الكهرباء لم تكن موجودة، وغالبًا ما تُسْتَخْدَمُ الصاعقة الكهربية عندما يتعرض شيءٌ ما للكهرباء، ومن ثم تَحْدُث له صدمة حيث تمرُّ الكهرباء من خلاله، وتُحْدِث له إصابات قد تؤدي إلى الموت أو الإتلاف.

كما ورد في المعاجم العربية القديمة (صَعَقَ) أي: أصاب، يقول الرازي: "صَعَقَتْهُم السَّماءُ من باب قطَع إذا أَلْقَتْ عَلَيْهُم الصّاعِقَةَ"[٢٢]، أي: أصابتهم بها، وقد جعلت بعضُ المعاجم الحديثة إصابةَ الصاعقةِ مثل الصعقِ الكهربيّ، يقول أحمد مختار عمر: "صعَق التَّيَّارُ الكهربيّ الرَّجلَ: أصابه"[٢٣]، وقد استُخدِم هذا اللفظ كثيرًا في النصوص العربية الحديثة، ومنه الصعق

الكهربي للحيوانات وتَرْكِها عِنْدَ اليَأْسِ مِنَ الانْتِفَاعِ بِها، فإذا كُسِرَ الحمارُ مثلًا فيُقْتَل، و"لكن بأسهل طريقةٍ تُريحُ الحمارَ، وأسهلُ شَيْءٍ ... هو الصَّعْقُ الكَهْرَبِي"(٢٤)، فالصعق الكَهْرَبِي للحَيَوانِ: إصابته بالتيار الكَهْرَبِي، ويُؤَدّي ذلك إلى قتله.

ومن الجدير بالذكر أن الصعقة أيضًا استُخدمت في كثير من النصوص العربية؛ لتدلّ على المعاني السابقة للصاعقة، فعلى سبيل المثال استُعملت هذه الكلمة بمعنى الصوت الشديد الذي يكون عن الصاعقة، يقول القاضي الفاضل، وهو يَصِفُ للقاضي محيي الدّين بن الزكي تعرضَ البلادِ لعواصف رعدية، :"ذَلِكَ أَنَّه أَتَى عَارِضٌ فِيهِ ظُلُمات مُتَكاثِفة، وبُرُوق خاطفة، ورِياحٌ عَاصِفَة، قَوِيَ أُلهوبُها، وَاشْتَدَّ هبوبُها، وَارْتَفَعتْ لَهَا صَعَقات"(٢٥)، كما استخدمت بمعانٍ أخرى مثل: الغشية، والنفخة الأولى في الصور، وذلك في القرآن والسنة، وجاءت أيضًا في شعر البحتري بمعنى كُلّ عذابٍ مهلكٍ، قال يَذكر بعض القبائل التي هَلَكَتْ:

تَوافَتْ لَهُم آجالُهُم فَكَأَنَّهُم لَقُوا صَعْقَةً أَو فَضَّ بَينَهُمُ حَتْفُ(٢٦)

في الأمثلة السابقة كان الحديث عن بعض أسماء (ص ع ق)، وهي الصاعقة والصعقة، وفي الأمثلة التالية ندرس أحدَ أفعال هذه المادة أيضًا، لنأخذ مثالًا على ذلك الفعل (أَصْعَقَ)، وسنرى كيف تتغير دلالته بتغير التركيب المصاحب له، والجدول التالي بوضح ذلك:

جدول معاني أصعق

م	النص	المعنى	القائل	المصدر
١	أَصْعَقَ الأَعْداءَ حَتّى خِلْتُهُ زَفَيانَ الرّيحِ يَرمِي بِالعَضَدْ	أصْعَقَ الشيءُ فلانًا: قَتَلَه.	الشَّريف الرضي	ديوان الشَّريف الرضي، ص ٢٩٩، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، الطبعة الأولى، سلسلة التراث،

				وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية.
٢	تَرَى النُّعَراتِ الخُضْرَ تَحْتَ لَبانِه فُرَادَى ومَثْنَى أصعَقَتْهَا صَواهِلُهْ	قَتَلَتها بشِدَّةِ الصَّوْتِ.	تميم بن أبيّ بن مقبل	ديوان ابن مقبل، (١/ ١٨٦)، تحقيق: عزة حسن، دار الشّرق العربيّ، بيروت، ١٩٩٥م.
٣	"نَعَمْ ما أَصْعَقَهُ إلا ذَلِكَ"	جَعَلَه يُغْشَى عَلَيْهِ.	محيي الدين ابن عربي	الشعراني، اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، (١ / ٢٢٣)، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.
٤	"ما رأيت مثل اليوم، قد أذهب عني النوم، رأيت غيمًا أبرق، وأرعد طويلًا ثم أَصْعَقَ"	أصعقتِ السماءُ القومَ: أصابتهم.	طريفة الحميرية	المسعودي، مروج الذهب، (٢/ ١٤٣)، تحقيق: كمال مرعي، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥م.

في المثال الأول يمدح الشَّريف الرضي الملكَ بهاء الدولة، ويشكره على قيامه بالنظر في أمر الطالِبيين، وهم الأشراف، حيث يُرْوَى أن الملك جعلَ الشريفَ الرضيَّ نقيبًا لهم، وطالما أن أصعق هنا جاء مع الأعداء، فهو يقصد قَتَلَ، وزَفَيانُ الرِّيح: سَوْقُها السَّحاب، يُقال: زفتِ الريحُ السحابَ: طَرَدَتْهُ، والعَضَدُ: الورق المنثور من الشجر، فالشاعر يُشبِّهُ المَلِكَ فِي قضائِه على أعدائه بالريحِ التي تسوقُ الأشجارَ وأوراقها، وتقتلعها.

والمثال الثاني للشاعر تميم بن أبيّ بن مقبل العجلاني، وهو أحد الشعراء المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية وصدر الإسلام، وأسلم، وهو هنا يَصِفُ فَرَسَه، بأنه شديد الصهيل، لدرجة تجعل النُّعَرات تموتُ، والنُّعَرات: الذُّباب الضخم، واللَّبان: الصَّدرُ، والصواهل جمع صهيل، وهو صوت الفرس وصياحه، فالمقصود هنا أن أصوات الفرس من شدتها قَتَلَتْ هذا الذباب، وإن كان معنى أصعق في بيت الشريفِ الرضي قريبًا من بيت ابن مقبل، فكلاهما استخدم هذا الفعل؛ ليدلّ على القتل، إلا أن القتل في المثال الثاني كان عن طريق شدة الصوت، ووجود الصواهل قد أكّد على ذلك. ومن الشعراء الأندلسيين الذين استخدموا أَصْعَقَ أي: قتله بشدة صوته أيضًا، ابن درّاج القَسْطلي، يقول مادِحًا:

ولَيثُ لُيوثٍ يُصْعِقُ الأرضَ زأرُها ... ويَقْدُمُها فِي حَوْمَةِ الموتِ زَارُهُ[٢٧]

يتحدث عبد الوهاب الشعراني، أحد أئمة التصوف، في المثال الثالث، عمّا حَدَثَ لموسى، عليه السلام، عندما قال ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ الأعراف: ١٤٣، على طريقة الحِجاج (فإن قلتَ كذا فالجواب كذا)، فالقول: فما خرَّ موسى صَعِقًا إلا لِمَا كان عنده من العلم بالله تعالى قبل سؤال الرؤية، ثم ينقل الجواب عن ابن عربي، يقول: "نَعَمْ ما أَصْعَقَهُ إلا ذَلِكَ"، فأصعق هنا لا يمكن أن يكون (قَتَلَه)، ولا (أصابه بصاعقة)، لاستحالة أن تقع هذه الأفعال من الله على أحد أنبيائه، وإنما أراد الإغْشاء ثم الإفاقة، فأصعقه هنا جعله يُغْشَى عليه، ويرى الآلوسي أن السبب في ذلك هو سؤال الرؤية: "قُوبِلَ الكَلِيمُ بِالصَّعْقِ لمّا سَأل الرُّؤْية"[٢٨].

ومن المعلوم أن الصَّعْقَ قد تحول إلى ظاهرة صوفية، تغنَّى بها شعراء الصوفية في دواوينهم، ومن أشهر هؤلاء أبو الحسن الششتري، يقول:

وطالِبَنا مطلوبُنا مِن وُجودِنا نَغِيبُ به عَنَّا لدَى الصَّعْقِ إِذْ عَنَّا(٢٩)

الصعق هنا في مفهوم الصوفية هو الفَنَاءُ فِي اللهِ عند التَّجَلِّي الذَّاتِيّ، وعنّا الثانية أي: ظَهَرَ عند هذا الصعق.

أما في المثال الرابع فتتحدث طريفة بنت الخير الحميرية، وهي إحدى الكهان في العصر الجاهلي، عن أنها رأت فيما يرى النائم أن سحابةً غشيت أرضَ قومِها، وأرعدت وأبرقت ثم أصعقت، فلم تقع على شيء إلا أحرقته، ومن ثم يصبح استعمال الفعل أصعق هنا بالمعنى الذي يتناسب مع البرق والرعد، حيث يقال: أصعقتِ السماءُ القومَ: أصابَتْهم بالصاعقة.

وقد فَزِعَت طريفة لذلك، ولمّا انتبهت عَلِمَت أن ما رأته في الحلم يدلّ على حدوث مصيبة تنبأت بها طريفة لقومها، ألا وهي انهيار سد مأرب، وقد حدث ذلك بالفعل، فقد عاقبهم الله بذلك؛ لأنهم كانوا يعبدون الشمس، وأرسل الله لهم الأنبياء فكذَّبوهم، فباعد الله بين أسفارهم فتفرقوا في الأرض بعد انهيار هذا السدّ.

التداولية ودورها في ترجيح المعاني

في كثير من الأحيان يكون الاشتراك اللفظي مَدعاة للتفكير والتأمل في الخطاب، فعلى سبيل المثال الفعل (صَعِقَ يَصْعَقُ فهو صَعِقٌ) يأتي أحيانًا بمعنى غُشِيَ عليه وذَهَبَ عَقْلُه، وأصابته صاعقة، وهلك ومات، ومن ثم يكون تعددُ المعاني سببًا في اختلاف آراء العلماء حول معنى آية قرآنية أو حديث نبوي أو بيت من الشعر وغير ذلك.

في هذه الحالة ينبغي للنظرية التداولية أن تزيل الغموض؛ لتصل إلى مؤشرات يكون لها دور في التأويل، لنأخذ على سبيل المثال قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى

صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، الأعراف: ١٤٣؛ لنرى كلام بعض المفسرين حول (صَعِقًا)، في هذه الآية الكريمة.

من نافلة القول أنّ هذا الفعل استُخدم في الشعر العربي بهذه المعاني منذ العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث، يقول الشاعر زهير بن جناب الكلبي يَصِفُ كَتِيبَةً وبَأْسَها فِي الحَرْبِ:

فَجاؤوا إِلى رَجراجَةٍ مُتْمَئِزَّةٍ يَكادُ المُرَنِّي نَحوَها الطَّرْفَ يَصْعَقُ(٣٠)

رَجْراجة: تموج من كَثْرتها، ومُتْمَئِزَّةٍ: صُلْبةٌ، ورنَّ: أدامَ النَّظر، والطَّرْفُ: البَصَرُ، وصَعِقَ: أُغْمِي عليه، ولا يُحْتَمَل أن يكون تفسير الصعق هنا الموت؛ لأنه جعله يديم النظر.

ويقول أَعْشى هَمْدان، وهو من شعراء العصر الأموي:

وَبَينَما المَرءُ أَمسَى ناعِمًا جَذِلًا في أَهلِهِ مُعْجَبًا بِالعَيشِ ذا أَنَقِ

غِرًّا أُتيحَ لَهُ مِن حَينِهِ عَرَضٌ فَما تَلَبَّثَ حَتّى ماتَ كَالصَّعِقِ(٣١)

والصَّعِقُ هنا هو مَنْ أصابته صاعقة.

ويقول محمود سامي البارودي في الرثاء:

يَنْكَفِتُ الْجَيْشُ حِينَ يَفْجَؤُهُ وَيَصْعَقُ الْقِرْنُ حِينَ يَلْتَزِمُهْ(٣٢)

أما الصَّعْقُ هنا فهو الموت.

فما المعنى الذي يمكن اختياره من المعاني السابقة للفعل (صعِق)؛ ليكون أكثر مناسبة لسياق قوله تعالى: ﴿ وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾؟

في البداية لا بد أن نستبعد الصَّعِقَ أي: الذي أصابته صاعقة؛ لأنه من المستحيل أن يعذِّب الله نبيه موسى، عليه السلام، وإنما وقع الاختلاف بين المُفسرِين في المعنيين الآخرين، وهما: الإغشاء والموت، يقول الرازي: " فسَّر ابن عباس قوله تعالى: ﴿ وَخَرَّ مُوسى صَعِقًا﴾ بالغَشْي، وفسّره قتادة بالموت، والأول أقوى لقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَفاقَ﴾، قال الزجاج: ولا يكاد يُقال للميت: قد أفاق من موته، ولكن يُقال للذي يُغْشَى عليه: إنه أفاق من غَشْيِهِ؛ لأن الله تعالى

قال في الذين ماتوا: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾، البقرة:٥٦" [٣٣]، يعني أن الله تعالى قال عن موسى: فلما أفاق، ولم يقُل: فلما نُشِر أو بُعِثَ، ولهذا اختار كثيرٌ من المفسرين رأيَ ابن عباس والحسن، رضي الله عنهما.

لكن مَنْ ذَكَرَ مِن المفسرين أن الصعق هو الموت فسّر أيضًا قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ بما يتناسب مع هذا السياق، فعلى القول الأول أن الصعق هو الغَشْية، فموسى قد أفاق منها، والقول الثاني فيه الصعق أي: الموت، وهو رأي قتادة ومقاتل وابن جريج وغيرهم[٣٤]، يقول العيني: "عَلى قَول مقَاتل: رُدَّتْ عَلَيْهِ رُوحُه"[٣٥].

تتدخل معاني المعجم هنا لتحديد الدلالة المناسبة للآية، فأَفَاق دَلِيل على أن المراد هو الغَشْي؛ لِأَنَّهُ يُقَال للمغشي عَلَيْهِ: أَفَاق[٣٦]، و"المشهور أن الإفاقة رجوع العقل والفهم إلى الإنسان بعد ذهابهما عنه بسبب من الأسباب، ولا يُقال للميت إذا عادت إليه روحه: أفاق"[٣٧]، فأفاق هنا تؤكد على أن الصعق في الآية الكريمة هو الإغماء لا الموت؛ لأن أفاق هنا تعني عاد إلى طبيعته من غشيةٍ لحقته، فالقرينة اللفظية تمنع التأويلَ الثاني وهو الموت.

ولا يعتد هنا بأن الصعق أي: الموت من المعاني المعجمية الصحيحة للكلمة، ومن ثم فتُسْتَخْدَم في هذه الآية بهذا المعنى، فهي صحيحة في اللغة لكنها ليست مرادة هنا؛ لأن القرينة المعنوية تؤكد أيضًا على أن التأويل الأول، وهو الإغماء، هو الصحيح، يقول القرطبي: "أما صعق غير الأنبياء فموت، وأما صعق الأنبياء، فالأظهر: أنه غشية"[٣٨]، ومع أن الزمخشري مع مَن يرون أن صعقة موسى إغماء لا موت إلا أنه قد حاول أن يجمع بين المعنيين على طريقة التشبيه، يقول: "خرّ مغشيًّا عليه غشية كالموت"[٣٩].

ومن المشتقات التي استخدمت (ص ع ق) في الدلالة على المُغْمَى عليه صَعِيق، يقول أبو حنيفة الدينوري، شارحًا قَولَهُ تَعَالَى: ﴿ لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾، الصافات: ٤٧: "المَنْزُوفُ مَغْلُوبٌ وصَرِيعٌ وصَعِيقٌ"[٤٠]، المَنْزُوفُ: السكران، والصَّعِيق: المَغْشِيّ عَلَيْهِ، وهذه

الدلالة وإن كانت من المعاني المحورية في (ص ع ق) إلا أن هذه الصيغة نادرة الاستعمال في النصوص العربية، وهي من فعيل بمعنى مفعول، كقتيل ومقتول.

لكن لا يفهم مما سبق أن القرآن لم يستخدم الفعل (صَعِقَ) بمعنى الموت؛ لأنه قد فَسَّر به مقاتلُ بن سليمان ـ على سبيل المثال ـ قولَه تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾، الزمر: ٦٨، يقول: "﴿ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ يعني فمات"[٤١].

يأتي الفعل (صُعِق)، بالبناء للمجهول، بالمعنى نفسه للفعل (صَعِقَ)، فمن الأمثلة التي تَعَيَّنَ فيها معنى الغشية للفعل(صُعِق) قول النووي: "صُعِقَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ عِنْدَ القِرَاءَةِ، وَمَاتَ جَمَاعَاتٌ مِنْهُمْ"[٤٢]، يتحدث هنا عما ينبغي أن يتحلى به قارئ القرآن من الخشوع والتدبر، وأن السلف كان الواحد منهم يتلو آية واحدة ليلة كاملة فَيُصْعَق، فعندما يُسند الصعق إلى الصالحين من الأنبياء والصحابة يكون غشيةً بسبب الخوف من الله سبحانه وتعالى، أما عندما يُسند إلى المعاندين والمخالفين لمنهج الله فيكون عقابًا وتعذيبًا، ولا شك أن السياق هنا يحدد دلالة (صُعِقَ)، وهي أُغْمِيَ عليهم، ولا يصح أن تؤول (صُعِقَ) بمعنى آخر غيره؛ لأنه عندما عطف الموت على الجملة الأولى حدّد الصعقَ بالغَشْية فيها.

تناولتُ فيما سبق الفعلَ (صَعِق وبعض مشتقاته)، وكذلك الفعل (صُعِقَ)، أما الفعل (صَعَقَ) فقد ورد في حديث الرسول، ﷺ، الذي ذُكِرَ فيه سؤال القبر، حيث قال عن حساب المَلَكَيْنِ للعبد:" (يضرِبُه ضربةً فَيَصْعَقُ صعقةً يسمعُه كل شيء إلا الثقلين) ... أما الصيحة التي يصيحُها المضروب فإنها غير مألوفة للإنس والجن جميعًا لكون سببها عذاب الله"[٤٣]، للوقوف على المقصود من (صَعَقَ) نحتاج لتأمل النص، فمن خلاله سيتحدد معنى صَعَقَ، أغُشِيَ عليه، أم صرخ وصاح؟ يتضح من الحديث أن المراد صاح وصرخ، للقرينة اللفظية المتمثلة في (يسمعه)، والقرينة المعنوية أيضًا؛ لأن الميت لا يُصْعَقُ[٤٤]، أي: لا يُغْشَى عليه.

يمكن للتركيب في بعض الأحيان أن يُرَشِّح معنيين لا معنًى واحدًا، ويوضح النص التالي ذلك، ففي خبر الحَسَنِ: " (يُنْتَظَرُ بالمصْعُوق ثلاثًا ما لم يخافوا عليه نَتْنًا)، هو المَغْشِي عليه، أو الذي يموت فجأة لا يُعجَّل دفنُه"[٤٥]، وقد اخْتُلِف في تأويل هذا النص، كما هو واضح، فثمة مَنْ يرى أن الأول فقط هو المقصود[٤٦]، ومن يرى أن الثاني هو المراد[٤٧]، والحقيقة أن السياق في النص السابق يسمح بجواز المعنيين، فإن كان المريضُ مُغْمًى عليه فلا يُدْفَنُ؛ لأنه ربما يفيق، وإن كان قد مات فَجأةً فينتظر أيضًا خوفًا من أن يكون قد تعرض لأزمة طارئة في القلب أو الدماغ أو غيرهما، فإن شُفِيَ في الأيام الثلاثة فإن الله قد قدّر له البقاء، وإن لم يُفِقْ يدفن لتأكد موته.

الاعتماد على الحقائق الدينية

ميَّز هانسون بين ثلاث درجات من التداولية حسب الموضوع المدروس في كل درجة، فهناك تداولية الدرجة الأولى التي تتمثل في دراسة رموز التعبيرات المبهمة، وتعتمد هذه التداولية على السياق الوجودي المتمثل في المخاطَبين ومعطيات الزمان والمكان، وتداولية الدرجة الثانية، وسياقها يكون أوسع من السابق، وتتمثل في دراسة مدى ارتباط الموضوع المعبّر عنه بملفوظه، أي دراسة حجم ما يبلغه القائل من دلالات في الملفوظ الذي يؤدي ذلك، حيث يمتد من الموجودات إلى نفسية المتخاطبين وحدسهم، والاعتقادات المشتركة بينهم، وتداولية الدرجة الثالثة، وهي خاصة بأفعال الكلام[٤٨]، كالأساليب الإنشائية في البلاغة العربية، وأركز هنا على الدرجة الثانية من التداولية عند هانسون، وسيتضح ذلك عند الحديث عن أحد معاني الصعقة عند المسلمين.

اختلف اللغويون وعلماء التداولية في رؤيتهم للسياق، فمنهم من وسّع مفهومه فجعله يشمل مثلًا الكتابَ كله، وليس عدة جمل منه، ومنهم من قَصَرَهُ على الألفاظ التي تسبق

الجملة، وكذلك التي تليها فقط، والحقيقة أن السياق يشمل كلَّ ما يتصل بالمفردة من ظروف وملابسات، والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه [٤٩].

ولسبربر وولسن تصور جديد للسياق، حيث يتكون السياق من المعارف الموسوعية التي نتوصل إليها من خلال مفاهيم الصيغة المنطقية، ومن المعطيات المستقاة من تأويل الأقوال السابقة، ويُسَمّي سبربر وولسن مجموع مصادر هذه المعارف بالمحيط المعرفي للفرد[٥٠].

إن القدرة اللسانية لأصحاب لغة ما لا تعني فقط قدرتهم على إنتاج الجمل وتأويلها من الناحية المعجمية، وإنما تعني كذلك القدرة على استعمال هذه الجمل حسب الأعراف التداولية السائدة عند أفراد المجتمع اللغوي، وتقوم الثقافة، بكافة أشكالها من معتقدات موروثة، وتقاليد شعبية وغير ذلك، بدور محوري في هذا الإطار، ومن ثم فهناك عوامل أخرى غير الكفاية اللسانية تتدخل في تكوين نماذج الإنتاج والتأويل، وهي: الكفاية الثقافية والأيديولوجية، والمعطيات المقامية، إلخ ... [٥١].

فثمة معرفة متداولة بين أصحاب المجتمع اللغوي الواحد، وهي منطلقات ومقدمات للتواصل بين مجموعة لسانية معينة، وتبْقى هذه المقدمات مسلمات مشتركة يقبلها السامعون، فهي مبادئ متواضع عليها، ويُسَمّيها بيرلمان "مجموع الوقائع والحقائق والقيم التي يفترض المتكلم أنها معروفة أو مقبولة لدى مخاطبه" [٥٢]، ومنها الحقائق الدينية، وهي أشد إقناعًا من غيرها، فلا يتطرق إليها الشك.

ولنأخذ مثالًا على ذلك، حيث استُخدمت الصعقة استخدامًا خاصًّا؛ لتدلّ على حدث من أحداث يوم القيامة عند المسلمين، يقول سعيد بن منصور البَلْخي مفَسِّرًا قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ المؤمنون: ١٠١ :"لا أنساب بينهم ولا يتساءلون: عند الصَّعْقَة الأولى، فلا أنساب بينهم إذا صُعقوا، فإذا كانت النفخة الآخرة فإذا هم قيام يتساءلون"[٥٣]، فالآيات التي قبلها تتحدث عن الموت، وتوضّح أنه لا يمكن للإنسان، وهو في البرزخ، أن يرجع مرة أخرى إلى الدنيا؛ ليعمل الأعمال الصالحة التي ضاعت منه، ثم تذكر الآيات قيامَ الساعة وأهوالَها، فتحدث الصعقةُ الأولى حيث يُنفخ في الصور،

فيموت الجميع، وبعد ذلك تأتي النفخة الأخيرة التي يقوم الناس فيها للحساب والعرض على الله.

فمن المعاني المعجمية للصعقة: الصَّوْتُ الشَّديدُ الذي يكون عن الصاعِقَةِ، والصَّيْحَةُ يُغْشَى منها على مَنْ يسمَعُها أو يموتُ بسببها، والعذاب المُهْلِك، وكلها غير واردة في نص سعيد بن منصور السابق، وإنما الذي يُفْهم من خلال العقيدة الإسلامية هو النَّفْخَة الأولى في الصُّور، وهذا المراد لا يأتي إلى الذهن إلا من خلال الاعتقادات التي يؤمن بها كل مسلم، ومن ثم يُفْهمُ مثل هذا النص في ضوء الحقائق الدينية الثابتة بين مُنتجِي الكلام ومستقبِليه.

الاستلزام الخطابي

لا يقتصر تأويل قولٍ ما على شرح المعجم له، فثمة فرقٌ بين ما يُقال، وبين ما يتم تبليغه[٥٤]، حيث يستدلّ القارئ من خلال ما يُقال على ما يُراد تبليغه، ولذلك وضع جرايس مبدأ التعاون، وما نتج عنه من مبادئ فرعية: هي الكم والكيف والطريقة والمناسبة؛ لتكون جسرًا للتواصل بين المخاطَبِين، لكنه كثيرًا ما يحدث انتهاك لهذه المبادئ، ومن هنا نشأ مفهوم الاستلزام الخطابي، حيث يقوم المخاطَب بعملية استدلال تهدف إلى التوصل إلى مقصد القائل، وليس من الضروري أن تكون أفكار المتلقي كلها قد وردت في ذهن المتكلم، " فإن كُلَّ هذا يستلزم ألا تكون المقدمات التي يستخدمها المخاطَب في عملية الاستدلال هي كلُّ ما فكّر القائلُ في استخدامه"[٥٥].

من هنا نتبين أن ما قِيل مرتبط بالمفردات المعجمية فقط، وأن الاستلزام الخطابي مرهون بما تمّ تبليغه عن طريق الاستدلال، ولنأخذ مثالًا على ذلك من أُرجوزة لرُؤبة بن العَجّاج يصف حمارًا وحشيًّا وأتانَه، يقول:

إذا تَتَلَّاهُنَّ صَلْصَالُ الصَّعَقْ

مُعْتَزِمُ التَجْلِيحِ مَلّاخُ المَلَقْ

يَرْمِي الجَلامِيدَ بِجُلْمُودٍ مِذَقْ[٥٦]

معنى الصَّعَقِ في اللغة: شِدَّةُ الصَّوْت، ورؤبة في هذا الجزء من الرجز يصف الحمار الوحشي، وهو يحمي أُتنَه حتى أوردهن الماء، بأنه شديد النهيق والصوت، وهو يمرّ مرورًا سريعًا سهلًا، خلف هذه الأُتن، في رحلتها في الصحراء، وأن حافره يدق الحجارة، فالجلاميد هي الصخور، وهذا الكلام من الناحية اللغوية المحضة لا يضيف شيئًا ذا بالٍ في الوصف، وإنما يريد الشاعر أن يبلِّغَ معانيَ أخرى مُسْتَلْزَمَةً عن هذه الأوصاف، والدليل على ذلك قصة الشاعر مع أبي مسلم الخراساني أمير الدولة العباسية، وكان من كبار الفصحاء، عندما أنشده هذه الأرجوزة، حيث يحكي رؤبة أنه لمّا وَصَلَ إلى قوله:

يَرْمِي الجَلامِيدَ بِجُلْمُودٍ مِدَقْ

"قال (أبو مسلم): قاتلك الله لشدّ ما اسْتَصْلَبْتَ الحافِر، ثم قال: حَسْبُك أنا ذلك الجلمود المِدَق"(٥٧).

لقد أعجب أبو مسلم بالأبيات، وأثَّرت فيه تأثيرًا كبيرًا؛ لأنه لم يفهم من كلام الشاعر المعنى اللغوي الذي أوضحتُه سابقًا فقط، وإنما فهم أن الشاعر أبدع في وصف هذا الحمار أيَّما إبداعٍ؛ لأن كلامه عن شدة صوت هذا الحمار يستلزم قوته ورعايته لأتنه وحرصه عليها، ومتابعته لها، ومن ثم جاء هذا الوصف منقطع النظير في الشعر القديم كله، وكذلك وصفه لصلابة الحمار لدرجة أن الشاعر جعل حوافرَ حمارِهِ أقوى من حجارة الصحراء، مما جعل الأمير يقول للشاعر: أنا ذلك الجلمود المدق، فالأمير من شدة اقتناعه بهذه الأبيات أسقط كلام الشاعر على نفسه، ولم يتهيأ له ذلك إلا بعد فهمه للموقف الذي وَرَدَ فيه الكلام.

الاستعمال الحرفي والاستعمال غير الحرفي

ثمة أسباب كثيرة تؤدي إلى تغيير معاني الجمل، وذلك لارتباطها بعوامل كثيرة غير ثابتة، ولا أبتعد عن الصواب إذا قلتُ: إن تحديد المراد من جملةٍ ما هو رهينٌ للحظة التي تُنْطَقُ فيها، ولو تكررت الجملة عينها في لحظة لاحقة لربّما اختلف الأمر من ناحية دلالتِها وتأثيرها، حيث تشيرُ هذه الجملة إلى دلالة غير التي أشارت إليها في البداية، والنتيجة الحتمية لذلك هي خروج

الجمل عن معانيها المعجمية إلى معانٍ مجازية وضمنية وغير ذلك، حسب الموقف ومعطياته، ومن ثم يمكن التفرقة بين استخدامين للغة، الأول: حرفي، والثاني غير حرفي، ولقد أرسى (بيرس) ثنائية طرفاها متمايزان، و"هما النمط والوُرُود، أما النمط فهو العلامة بما هي كيان مجرد مثالي، وتقع في اللسان، بالمعنى السوسيري للفظ، أما الورود فهو الاستعمال الملموس للنمط في السياق، فالمعنى الحرفي هو من النمط، أما الدلالة في السياق فهي من الورود"[٥٨]، وهي تأتي عن طريق الاستعمال المجازي للكلام.

ولهذا السبب ميّز أصحاب النظرية التداولية بين الجملة والقول، وصرّحوا بأن معرفة مفردة داخل جملة ما ليست رهينة قاعدة متناهية، بل الأمر مرتبط بالمقام الذي أُدْرِجَ فيه الكلام، والمقامات متنوعة وغير متناهية، أضفْ إلى ذلك أن الإنسان غالبًا ما يَستعملُ اللغةَ لابتكار صورٍ مجازيةٍ يُزيّن بها عالمه التَّواصلي[٥٩].

ويرى سبربر وولسن في ضوء نظرية المناسبة أنه لا يتحدد الاستعمال الحرفي والاستعمال غير الحرفي في المطلق، بل قياسًا على الفكرة التي يرغب القائل في تبليغها، فبحسب درجة المشابهة بين الفكرة والقول، يقترب القول من الاستعمال الحرفي أو يبعد عنه، حسب عدد الاستلزامات التي يثيرها القول والفكرة، ومن ثم فالذي يحدد نوع الاستعمال حرفي أو غير حرفي من خصائص القول، وليس من خصائص الجملة[٦٠].

وتعدُّ المعاني المجازية والضمنية من أهم ما يتضح من خلال السياق، فحينما يكون المضمون الحرفي غير ملائم نحاول أن نرفع ملاءمته باستعماله في المقام الخاص الذي يتعلق به السياق، يتم ذلك عن طريق تقديرِ دلالةٍ مضمرةٍ أهم، أو تفضي إلى استنتاج أكبر[٦١].

لكن هذا لا يعني إغفال الاستعمال الحقيقي للكلمات عندما تُستخدم بمعانٍ مجازية؛ لأنه هو القنطرة التي تقودنا لاستنتاج المجاز، ويستدلّ المخاطبُ من خلال عدم مناسبته للسياق على معناه الجديد الذي اكتسبته من الموقف الاستعمالي، "إن المضامين المضمرة تكون مُطَعَّمةً

بشكلٍ ما بالمضامين الظاهرة بشكل تكون معه معرفة الأوائل تقتضي تحديدَ الثَّواني"[٦٢] حيث تتدخل هنا الكفاية اللسانية والتداولية لحمل الكلام على ما يتناسب مع الموقف. وقديمًا فطن عبد القاهر الجرجاني إلى هذا الموضوع عندما قال:" تَعْنِي بالمعنى المفهومَ من ظاهرِ اللفظِ، والذي تَصِلُ إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى، أن تَعْقِل من اللفظِ معنًى، ثم يُفضي بكَ ذلكَ المعنى إلى معنًى آخرَ"[٦٣]، ومن ثم فقد توصَّلَ عبد القاهر قبل علماء التداولية في الغرب إلى الفرق بين الاستعمال الحرفي وغير الحرفي، وكان ذلك على المستويين النظري والتطبيقي.

من المعلوم في التواصل البشري أن المعاني التي يريد الإنسان أن يُبلغها إلى غيره تكون دائمًا غير محدودة، في الوقت الذي تكون فيه الألفاظ، مهما كثُرت، لها نهاية، مما يجعلها قاصرة في بعض الأحيان عن توصيل المُراد، يترتب على ذلك اللجوء حتمًا إلى العبارات المستعملة في غير معانيها الحقيقية، واللغة بصفة عامة تحمل بين طياتها كثيرًا من الغموض واللبس الدلالي، بسبب كثرة العبارات المجازية والضمنية بها، مما يجعل التداولية مجالًا خصبًا لإزالة هذا الغموض، ومن ثم يكون "على التداولية أن تستدرك ما أُهمِل من مجمل المضامين التي يُبلِّغُها القائل، والتي يظل عدد كبير منها غير صريح، ويرى سبربر وولسن أن العمليات التي تسمح بهذا الاستدراك هي، بلا منازع، العمليات الاستدلالية"[٦٤].

تعمل الكفاية الموسوعية، بجانب الكفاية اللسانية وغيرها من الكفايات الأخرى، في جميع الاتجاهات حيث تتدخل في حلِّ سَنَنِ المضامين الظاهرة، لكنها تعمل بشكل أقوي في المضامين المُضْمَرَة [٦٥]، مما يدلّ على أن استخدام المجاز يجعل القارئ أكثر تشغيلًا لقدراته الاستدلالية، وهذا بلا شك من أهم أسرار المجاز، مما يعني أن دراسة المجاز في البلاغة العربية من منظور تداولي يحتاج إلى دراسات مستقلة.

لا أحد يُنكر أن الهجاء كان فنًا من فنون الشعر منذ العصر الجاهلي، لكن المعركة الكلامية التي نشأت بين جرير والفرزدق، على سبيل المثال، أحدثتْ فنًا جديدًا هو ما سُمّي بشعر النقائض، ولم يقف الأمر على هذين الشاعرين فقط، وإنما انحاز بعض الشعراء لجرير، والبعض

الآخر للفرزدق، وكان استخدام المجاز هو أحد أسلحة هذه المعركة، فأخذ جرير يهجو به الفرزدق، ومن عاونه من الشعراء، يقول جرير:

لَقَد خَزِيَ الفَرَزدَقُ في مَعَدٍّ فَأَمْسَى جَهدُ نُصرَتِهِ اِغتِيابا

أخزى جريرٌ الفرزدقَ فلم يكن عنده انتصار إلا الاغتياب فقط.

ثم يقول:

أَعَدَّ اللهُ للشُّعراءِ مِنّي صواعقَ يُخْضِعونَ لها الرِّقابا

وبعد ذلك بدأ يهجو عَرادَةَ النُّمَيْرِي راويةَ الرَّاعي، يقول:

أَتَانِي عَن عَرادَةَ قَولُ سُوءٍ فَلا وَأَبِي عَرادَةَ ما أَصَابَا

ووصل في قصيدته إلى هجاء الرَّاعِي النُّمَيْرِيّ الذي انحاز إلى الفرزدق على حساب جرير قائلًا:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِن نُمَيرٍ فَلا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلا كِلابا(٦٦)

إن الأبيات السابقة واللاحقة لبيت جرير الذي استخدم فيه الصواعق التي أعدها للشعراء الذين هَجَوْهُ تشير إشارة قاطعة على أن جريرًا لا يستخدم هذه المفردة هنا بمعناها الحقيقي، فمن معانيها: النار المُحْرِقة والصيحة والموت وغير ذلك من المعاني المعجمية، وكلّها غير واردة هنا، فأبياته في هجاء هؤلاء الشعراء ليست كالصواعق المرسلة على المشركين والكفار وغيرهم من المخالفين للرسل والأنبياء، وإنما أراد جريرٌ أن الله أيَّده بأجوبة مُسكِتة وأشعار مفحمة لهؤلاء الخصوم، جعلته يَرْمِيهم بالذُّلِّ والمَهانة، ومن ثم اسْتَخْدَمَ هذه المفردة هنا على سبيل الاستعارة، ولذلك سُمِّيتِ القصيدةُ التي منها هذه الأبيات بالدّامغة. ولا غرو والأمر كذلك أن نجد كثيرًا من الشعراء القدامى والمحدثين يستخدمون الصواعق في معانٍ مجازية متعددة.

يستدلّ أيُّ قارئ للأبيات السابقة عن طريق عدم مناسبة الصواعق في أي استخدام من استخداماتها المعجمية لما يريد الشاعر توصيله، على أنه قد استعملها استعمالًا مجازيًّا يخدم غرضه الشعري، وهو الهجاء، وكان موفقًا جدًّا، من وجهة نظري، فيما أراد أن يفعله، ومن ثم أثَّرت هذه القصيدة تأثيرًا كبيرًا في خصومه ومعارضيه.

إذا كان جرير قد استخدم هذه الكلمة في الهجاء فإن البحتري قد استعملها في المدح، من ذلك على سبيل المثال قولُه في مدح أبي نهشل بن حميد:

صَواعِقُ آراءٍ لَوِ اِنقَضَّ بَعضُها عَلى يَذبُلٍ لَاِنقَضَّ أَو ذابَ جامِدُه(٦٧)

يتكلم البحتري عن أفكار هذا الرجل وآرائه، وأنها وصلت لدرجة من القوة والصلابة ما يجعلها لو جُسِّدَت على جبل يَذبُل، وهو من أكبر جبال نجد، لانهارَ وانهدم، والصواعق هنا أيضًا مستعملة استعمالًا مجازيًّا، مما يَدُلّ على أن الشعراء وغيرهم يستطيعون الخروج بالكلمات والجمل عن معانيها الحقيقية إلى معانٍ مجازية وِفْقًا لمناسبة هذه الكلمات والجمل للمواقف التي تُسْتَخْدم فيها.

وكما استعملَ الشعراء الصاعقة استعمالًا مجازيًّا فقد استُخْدِمَتْ الصَّعْقةُ الاستخدام ذاته؛ لتدلَّ على الحيرة والذهول والصدمة، يقول السَّفّاح التغلبي، وهو من أقدم الشعراء والفرسان عند العرب في الجاهلية:

هَلّا سَأَلتَ بِنا والدَّهْرُ ذُو غِيَرٍ عَنْ كَيْفَ صَعْقَتِنَا ذُهْلَ بنَ شَيبانَا(٦٩)

يرى الشاعر أن أحوال الدهر متغيرة، والدليل على ذلك إفزاعُ قبيلته تَغْلُب وهزيمتُها لذُهل بن شيبان بن ثعلبة، حِيٌّ من بَكْر، وقد وقعت حروب مشهورة بين بكر وتغلب، وآلت الأمور إلى هزيمة ساحقة للملك شُرَحْبِيل وأتباعه من بكر، ولما أصابتهم الهزيمةُ تَحَيَّروا لوقعها كما يتحير مَنْ أصابته الصاعقة، ومن ثم استخدم الشاعر الصعقة هنا على سبيل الاستعارة التصريحية.

كما استُخدمت هذه الكلمة في النثر العباسي أيضًا، يقول ابن شرف القَيْرَوانيّ في تقديمه لإحدى مقاماته: "لا أُثني على شيءٍ من حسّي، إلا ظَفَري بالأقل مما حاولتُه، على ما أضرمته نيرانُ الغربة من قلبي، وثَلَمَتْهُ صَعَقَاتُ الفِتْنَة من لُبّي"(٧٠)، فصَعَقَاتُ الفِتْنَة هنا تدَّل على لَحْظَات الذُّهُولِ وَالاجْتِذَابِ، ولا يخفى أنه لجأ هنا إلى المجاز على سبيل الاستعارة المكنية.

كما جاءت (ص ع ق) في المعاجم الحديثة؛ لتشير إلى الخبر السيئ وأثره في نفوس مستقبليه، فصعَقتِ (بفتح العين) الكارثةُ النَّاسَ: أذهلتهم، كان لها وقع شديد عليهم، يقولون: صعَقه نبأ مُفْجِع، وفلانٌ مَصْعوقٌ بخبر الوفاة، وصعَقه النَّبأُ السَّيِّئُ: نزل عليه كالصَّاعقة(٧١)، وقد أصبح هذا من المعاني المركزية للمادة في الاستخدام المعاصر.

إذا كانت الأمثلة السابقة من الاستعارة فإن بعض الشعراء استعملوا التمثيل أيضًا للتعبير عما يريدون باستخدام عبارات فيها (الصواعق)، على سبيل المثال قول ابن الرُّوميّ مُعاتبًا:

طَلَبْتُ لَدَيْكُم بِالعِتابِ زِيادةً وعَطْفًا، فَأَعْتَبْتُمْ بِإِحْدَى البَوَائِقِ

فكُنْتُ كَمُسْتَسْقٍ سَماءً مَخِيلةً حَيًا، فأصابتُه بإحدى الصَّواعِقِ(٧٢)

إن حالة الشاعر في عتابه لآل وهب الذي طلب منهم مزيدًا من العناية فآل أمره إلى الهجر، كحالة من طلب الاستسقاء ونزول الغيث من السماء، فأصابته السماء بصاعقة، ففي هذه الأبيات تشبيه تمثيلي، ووجه الشبه في ذلك وقوع الضرر من حيث أراد الشاعر النفع والمصلحة، ومعلوم أنه لم يُصَبْ بصاعقة على الحقيقة.

الدلالة بين المركزية والهامشية

أقرّ كثير من اللغويين بضرورة وجود معانٍ معجميّةٍ لمفردات أية لغة، لكنهم فرّقوا بين المفردات داخل السياق وخارجه، فقد رأى أولمان أن معاني الكلمات المخزونة في أذهان المتحدِّثِين والسامعين لا تحظى بالدقة والتحديد إلا حين تضمها التراكيب الحقيقية المنطوقة، وإن كانت بعض معاني الكلمات خارج الجمل يعتريها الغموض الشديد، فإنه لا بد من أن يكون لها

معنى أو عدة معانٍ مركزية ثابتة[٧٣]، من هذا المنطلق اعتمدتُ على النصوص الفعلية التي استُعْمِلت فيها (ص ع ق)، وهو ما أكدّت عليه التداولية اليوم من دراسة معاني الكلمات وفقًا لتحليل الموقف الذي تَرِدُ فيه، مما يعطي أصحابَ لغةٍ ما خبرةً تجعلهم قادرين على إنتاج المعاني من ناحية، وتمنحهم أيضًا الاستعداد للتفسير من ناحية أخرى، وهو ما يؤدي إلى إغناء اللغة بمعانٍ ربما تكون حديثة عن طريق العلاقات الجديدة التي تنشأ بين الكلمات بعضها البعض.

ومن خلال دراسة بعض مشتقات (ص ع ق) تبين أنها استُخدمت في المعاني المركزية التالية:

الكلمة	المعنى	القائل
الصَّعَق	شدة الصوت	رؤبة
الصاعقة	النار المحرقة	لبيد
	الصوت الشديد	أبي تمام
	الموت	الرسول، ﷺ
	العذاب المهلك	أبو بكر الصديق رضي الله عنه
	صِيحَة العَذاب	الله عز وجل
	التيار الكهربي	أحمد شوقي
أَصْعَقَ	قتل	الشَّريف الرضي
	قتل بشدة صوته	ابن مقبل
	أصابته الصاعقة	طريفة الحميرية
	جعله يغشى عليه	محيي الدين ابن عربي

الكلمة	المعنى	القائل
صَعِقٌ	من أصابته الصاعقة	أَعْشى هَمْدان
	مغشي عليه	زهير الكلبي
	ميّت	محمود سامي البارودي
صَعَقَ	صاح وصرخ	الرسول، ﷺ
صُعِقَ	غُشِيَ عليه	النووي

يوضح الجدول السابق المعاني الأساسية التي وردت في النصوص العربية لـ (ص ع ق)، لكن ذلك لا يعني عدم وجود نصوص أخرى تُسْتَخْدَم فيها المادة بمعنى مركزي أو هامشي، وعندما أورد ابن فارس هذه المادة قال عنها :"الصاد والعين والقاف أصل واحد يدلّ على صَلْقَةٍ وشدةِ صوتٍ"(٧٤)، وتؤكد الأمثلة الواردة هنا على أن هذه الدلالة فعلًا هي العنصر المشترك في معظم السياقات التي استُخدمت فيها هذه المادة، وثمة معنيان آخران يمكن أن يُضافا إلى الأصل الذي أشار إليه ابن فارس، وهما: الصدمة، والمُفاجأة، وقد وردت لهما استعمالات كثيرة قديمًا وحديثًا، وقد مرّ ذكرها.

ويرى الدكتور مُحَمَّد حسن جبل أن المعنى المحوري لـ (ص ع ق) في القرآن الكريم هو اختراق أثناء الشيء وعُمْقه فينهار، أو انهيار الشيء لذهاب الشدة من أثنائه، كخروج الخوار من جوف الثور، وكذهاب الشدة والتماسك من أثناء البئر، ومنه صَعِقَ: مات (ذهبت من باطنه قوة تماسكه)، وكذلك غُشي عليه(٧٥).

قد ذكرتُ سابقًا أن صعِقت البئر أي: انهارت من المعاني التي لم أعثر، في حدود علمي، وفيما تيسر لي من مصادر، على أيٍّ من النصوص الاستعمالية لها، وإن كان هذا المعنى قد نصّت عليه بعض المعاجم قديمًا وحديثًا، وفي الجانب المقابل هناك دلالة معينة ترد بكثافة عالية

في كل العصور بلا استثناء، ومن أمثلة ذلك كلمة الصاعقة أي: النار المُحرقة حيث كانت من أكثر الألفاظ شهرة واستعمالًا في هذه المادة.

خاتمة

وبعد، فهذه محاولة لفهم المبادئ التي تخضع لها الدلالة بداية من المعجم ومرورًا بالجمل، ووصولًا إلى النظرية التداولية بأبعادها المختلفة، وقد سعت الدراسة إلى مقاربة بعض ظواهر اللغة العربية، كظاهرة المشترك اللفظي والاستلزام الخطابي والمجاز وفقًا لهذه النظرية، وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج وتوصيات، ومع أنني لستُ من هواة تعدادها فهي موجودة في ثنايا الدراسة، فلابد من الإشارة إلى بعضها، وأبيّن ذلك فيما يلي:

أولًا: فهم النص يتَوَقَّف على المعرفة ببعض الظواهر الكونية، مثل الصواعق وغيرها.

ثانيًا: بعض النصوص تقتضي من المتلقي أن يكون على عِلْمٍ بالثقافة التاريخية.

ثالثًا: تتفق التداولية من خلال نظرية ماريون كاريل التي تُسمَّى بالمجموعات الدلالية مع علماء البلاغة العربية، ومنهم السكاكي على سبيل المثال، في أن اختيار الكلمات وتعالقها داخل الجمل يكون له دور في تحديد المراد، بل إن كثيرا من النصوص الشعرية والمعجمية قبل السكاكي ما يؤكد على ذلك.

رابعًا: يتفق علماء التداولية في الغرب في تفرقتهم بين الاستعمال الحرفي والاستعمال غير الحرفي مع كلام عبد القاهر الجرجاني عن المعنى ومعنى المعنى.

خامسًا: ثمة مبادئ وأسس استَعْمَلَها العربُ في كثير من الحقول المعرفية تثبت وجود تداولية عربية قبل أن تصبح التداولية اليوم هي النظرية الأشهر في الغرب.

سادسًا: استخدام المتكلم للمجاز يجعل المتلقي أكثر تشغيلًا لقدراته الاستدلالية، وهذا بلا شك من أهم أسرار المجاز، مما يعني أن دراسة المجاز في البلاغة العربية من منظور تداولي يحتاج إلى دراسات مستقلة.

سابعاً: تتدخل معاني الكلمات الواردة في الجملة لتحديد الدلالة المناسبة للكلام، ومن ثم ترجّح القرائن اللفظية أحد معاني الكلمة على الآخر، كما أن القرائن العقلية أيضًا تشترك مع قرائن المفردات في تحديد المعاني المُرادة من التواصل.

ثامناً: يمكن للسياق في بعض الأحيان أن يُرَشِّح معنيين لا معنًى واحدًا، ومن ثم يسمح التركيب بجواز المعنيين.

تاسعاً: يتوقف فْهمُ بعض النصوص على الحقائق الدينية المشتركة بين المتكلم والمتلقي.

عاشراً: ثمة فرقٌ بين ما يُقال وما يُبَلَّغ، فما يقال مرتبط بالمفردات المعجمية فقط، وما يتمّ تبليغه هو الاستلزام الخطابي، ونصل إليه عن طريق الاستدلال.

حادي عشر: كلمة الصاعقة بمعنى: النار المُحرقة كانت من أكثر الألفاظ شهرة واستعمالًا في هذه المادة.

الهوامش

(١) أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص ٢٢، ترجمة: أحمد الصمعي، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٥م.

(٢) ف، بالمر، علم الدلالة، ص ١٣٥، ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٨٥م.

(٣) انظر: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ص ٣٤، ترجمة: صابر الحباشة، الطبعة الأولى، دار الحوار، سورية، ٢٠٠٧م.

(٤) جيني توماس، المعنى في لغة الحوار، مدخل إلى البرجماتية (التداولية)، ص ٤١، ترجمة: نازك عبد الفتاح، الطبعة الأولى، دار الزهراء، الرياض، ٢٠١٠م.

(٥) آن روبول، وجاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ص ١٤، وكذلك ص٧٦، ترجمة: سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٣م.

(٦) أطلق تشومسكي على هذه العمليات من قبلُ مصطلحَ كفاية الشخص التي تمثل مجموعة قدراته اللسانية، وهي الجرد الكامل لاحتمالات اللغة المستعملة في موقف معين، وعدد من الاستعدادات المستنبطة، حيث الكفاية الأولى تُشَخَّص في دائرة المُرسِل، والثانية تشخص لدى المُستقبِل، انظر: مولز، وزيلتمان، وأوريكيوني، في التداولية المعاصرة والتواصل، فصول مختارة، ص ٥٢، ترجمة: محمد نظيف، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء.

(٧) انظر: روبول، وجاك موشلار، التداولية اليوم، ص ٢٢.

(٨) انظر: المرجع السابق، ص ١٠١.

(٩) لَبِيد بن ربيعة، ديوان لَبِيد بن ربيعة، شرح الطوسي، (٦٩/١)، تحقيق: حنا نصر الحتّى، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م. ويقول لبيد في رثاء أخيه أربد أيضًا:

فتًى كانَ أمّا كُلَّ شَيْءٍ سألْتَهُ ... فيُعْطِي، وأمّا كُلَّ ذَنْبٍ فَيَغْفِرُ

فإنْ يَكُ نَوءٌ مِنْ سَحابٍ أصابَهُ ... فقَد كانَ يعلُو في اللِّقاءِ ويَظْفَرُ

المرجع السابق، (٨٨/١).

(١٠) انظر: أحمد مختار عمر، بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، (١٢٩٧/٢)، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ م.

(١١) انظر: يحيى الجبوري، لبيد بن ربيعة العامري، ص ٣٠٨، الطبعة الثالثة، دار القلم، الكويت، ١٩٨٣م.

(١٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، (٣٦٢/١٥)، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م.

(١٣) انظر: مولز، وزيلتمان، وأوريكيوني، في التداولية المعاصرة والتواصل، ٥٦.

(١٤) انظر: كلود جرمان، ريمون لوبلون، علم الدلالة، ص ٤١، ترجمة: نور الهدى لوشن، الطبعة الأولى، منشورات جامعة قاريونس، بني غازي، ١٩٩٧م.

(١٥) انظر: مُحَمَّد أحمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص ٣٥٦، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨م.

(١٦) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٣٢٣، دار الثقافة، الدار البيضاء.

(١٧) راجع: جواد ختام، التداولية، أصولها واتجاهاتها، ص ١٦٦، ١٦٧، ١٧١، الطبعة الأولى، دار كنوز المعرفة، ٢٠١٦م.

(١٨) أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص ١٦٨، تحقيق: نعيم زرزور، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

(١٩) الأزهري، تهذيب اللغة، (١/ ١٧٨)، تحقيق: عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

(٢٠) المبرد، الكامل، (٢/ ٢٠٦)، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م.

(٢١) مُحَمَّد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٧/ ١٣٨)، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، جدة.

(٢٢) مُحَمَّد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، (١/ ١٥٢)، تحقيق: يوسف الشيخ مُحَمَّد، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦م.

(٢٣) انظر: أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، (١٢٩٦/٢).

(٢٤) مُحَمَّد بن صالح العثيمين، الشرح الممتع، الطبعة الأولى، (٥٣١/١٣)، تحقيق: عمر الحفيان، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام، ٢٠٠١ م.

(٢٥) أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، (٤/ ٤٣٤)، تحقيق: إبراهيم الزيبق، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م.

(٢٦) البحتري، ديوان البحتري، (١ / ١٣٥٨)، تحقيق: حسن الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، مصر.

(٢٧) ابن درّاج القَسْطلي، ديوان ابن درّاج القسطلي، (١/ ٤٩٨)، الطبعة الأولى، تحقيق: محمود مكيّ، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٦١م.

(٢٨) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (٣/ ١٤)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ.

(٢٩) الششتري، ديوان أبي الحسن الششتري، (١/ ٧٢)، تحقيق: علي سامي النشار، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر.

(٣٠) زهير بن جناب الكلبيّ، ديوان زهير بن جناب، (١: ٨٩)، تحقيق: محمّد البيطار، الطبعة الأولى، دار صادر للطّباعة والنّشر، بيروت، ١٩٩٩م.

(٣١) أعشى همدان، شعر أعشى همدان وأخباره، (١: ١٤٦)، تحقيق: حسن أبو ياسين، الطبعة الأولى، دار العلوم للطّباعة والنّشر، الرياض، ١٩٨٣م.

(٣٢) محمود سامي البارودي، ديوان محمود سامي البارودي، (١: ٢٤٧)، الطبعة الأولى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤م.

(٣٣) الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، (١٤/٢٤٥)، الطبعة الأولى، دار الفكر، لبنان، ١٩٨١م.

(٣٤) يقول ابن قُتَيْبَة: " قال تعالى: ﴿ وَخَرَّ مُوسى صَعِقًا﴾، الأعراف: ١٤٣، أي: ميّتا، ثم ردّ الله إليه حياته"، ابن قُتَيْبَة، تأويل مشكل القرآن، ص ٢٧١، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ويقول الفخر الرازي: "قال ابن قُتَيْبَةَ: إن موسى عليه السلام قد مات، وهو خطأ" الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، (٣/ ٩٢).

(٣٥) بدر الدين العيني، عمدة القاري، شرح صحيح البخاري، (١٥/٢٩٤)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣٦) انظر: الأزهري، تهذيب اللغة، (١/ ١٧٧).

(٣٧) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (٥/ ٤٥).

(٣٨) القرطبي، مختصر التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ١٦٢، تحقيق: فتحي الجندي، الطبعة الأولى، دار العاصمة، الرياض، ١٩٩٧م.

(٣٩) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (505/2)، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، وفتحي حجازي، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨م. وكذلك فسَّر الزمخشري الصاعقة في قوله تعالى: ﴿ إِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَثَمُودَ﴾، فصلت: ١٣، عن طريق التشبيه أيضًا، يقول: "حذَّرهم أن تصيبهم صاعقة: أي عذاب شديد الوَقْع كأنه صاعقة"

المرجع السابق، (٥/ ٣٧٣)، وقد أورد الزمخشري أيضًا أن هذه الآية رُويتْ قراءة بحذف الألف من صاعقة، حيث يقول: "قُرِئ: صعقة مِثْلَ صعقة عاد وثمود" المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٤٠) ابن سيده، المخصص، (٣/ ٢٠٩)، تحقيق: خليل جفال، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م.

(٤١) مُقاتِل بن سليمان، تفسير مقاتل، (١/ ١٠٥)، تحقيق: عبد الله شحاته، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م، ويرى البقاعي أن (صَعِقَ) هنا بمعنى مغشيٍّ عليه، راجع: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (١٦/ ٥٥٢)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

(٤٢) النووي، كتاب الأذكار، (١ / ١٤٢)، تحقيق: بشير مُحَمَّد عيون، الطبعة الرابعة، مكتبة دار البيان، بيروت، ٢٠٠٧م.

(٤٣) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (٣/ ١٨٥)، تحقيق: عبد العزيز بن باز، دار المعرفة، بيروت.

(٤٤) في بعض المصادر جاء الحديث برواية أخرى، وهي (يُصْعَقُ)، والأرجح ما أثبتُّه. كما وردت رواية أخرى للحديث بلفظة (يصيح)، يقول الرسول، ﷺ،: " إن العبد إذا وضع في قبره ... أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل مُحَمَّد، ﷺ، فأما المؤمن، فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله... وأما المنافق والكافر ... فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين" البخاري، صحيح البخاري، (٢/ ٩٨، ٩٩)، تحقيق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

(٤٥) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، (٣/ ٣٢)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود مُحَمَّد الطناحي، الطبعة الأولى، المكتبة الإسلامية، ١٩٦٣م.

(٤٦) يرى الهروي أن المصعوق هنا بمعنى الذي يُغْشى عليه، راجع: الهروي، كتاب الغريبين في القرآن والحديث، (1079/4)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

(٤٧) يرى الزمخشري أن المصعوق هنا بمعنى الذي يموت فجأة، راجع: الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، (٢/ ٢٩٩)، تحقيق: علي مُحَمَّد البجاوي، وآخر، الطبعة الثانية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر، ويرى البقاعي الرأي نفسه، راجع: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (١٦/ ٥٥٧)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

(٤٨) راجع: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص ٧٩ ، وص ٨١، الطبعة الأولى، بيت الحكمة، الجزائر، ٢٠٠٩م.

(٤٩) انظر: أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص ٥٧، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب.

(٥٠) انظر: آن روبول، وجاك موشلار، التداولية اليوم، ص ٧٧.

(٥١) انظر: مولز، وزيلتمان، وأوريكيوني، في التداولية المعاصرة والتواصل، ص ٥٦.

(٥٢) المرجع السابق، ص ٨٦.

(٥٣) سعيد بن منصور، التفسير من سنن سعيد بن منصور، (٦/ ٣٧١)، تحقيق: سعد آل حميد، وخالد الجريسي، الطبعة الأولى، دار الألوكة للنشر، الرياض، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.

(٥٤) انظر: آن روبول، وجاك موشلار، التداولية اليوم، ص ٥٦.

(٥٥) المرجع السابق، ص ٦٣ ، ٦٤.

(٥٦) رؤبة بن العجاج، ديوان رؤبة بن العجاج، ص ١٠٦، تحقيق: وليم البروسي، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت.

(٥٧) انظر: مُحَمَّد بن الحسن بن حمدون البغدادي، التذكرة الحمدونية، (٢/ ٨١)، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٤١٧ هـ.

(٥٨) فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ص ٤٢.

(٥٩) انظر: أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص ٢٩ ، من مقدمة المترجم.

(٦٠) انظر: آن روبول، وجاك موشلار، التداولية اليوم، ص ١٨٣، ١٨٤.

(٦١) انظر: مولز، وزيلتمان ، وأوريكيوني، في التداولية المعاصرة والتواصل، ص ١٤٢.

(٦٢) المرجع السابق، ٨٤.

(٦٣) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٢٦٣، تحقيق: محمود شاكر، الطبعة الثالثة، مطبعة المدني بالقاهرة، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

(٦٤) آن روبول، وجاك موشلار، التداولية اليوم، ص ٧١.

(٦٥) انظر: مولز، زيلتمان، أوريكيوني، في التداولية المعاصرة والتواصل، ص ٨٧.

(٦٦) جرير بن عطية الكلبي، شرح ديوان جرير، (١/ ٧١، ٧٢، ٧٥)، تحقيق: مُحَمَّد إسماعيل الصاوي، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

(٦٧) انظر: الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، ص ٢٩٤، تحقيق: عبد الله حمد محارب، الطبعة الأولى، الخانجي، ١٩٩٤ م، وقد جعل الآمدي هذه الأبيات من القسم "الذي هو في غاية الجودة"، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٦٨) انظر: الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، ص ٢٩٤، تحقيق: عبد الله حمد محارب، الطبعة الأولى، الخانجي، ١٩٩٤ م، وقد جعل الآمدي هذه الأبيات من القسم "الذي هو في غاية الجودة"، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٦٩) أحمد بن الحسين ابن الخباز، توجيه اللُّمَع، شرح كتاب اللُّمَع لابن جني، (١/ ٧٠)، تحقيق: فايز زكي، الطبعة الأولى، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٢م.

(٧٠) مجموعة مؤلفين، رسائل البلغاء، (١/ ٢٤٢)، دار الكتب العربية الكبرى، القاهرة، ١٩١٣م.

(٧١) انظر: أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، (١٢٩٦/٢).

(٧٢) ابن الرومي، ديوان ابن الرومي، (١٦٤٨/٤)، تحقيق: حسين نصار، الطبعة الثالثة، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٣م.

(٧٣) انظر: ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص ٥٧.

(٧٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (٣/ ٢٨٥)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، والصلقة: الصياح.

(٧٥) انظر: مُحَمَّد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المُؤَصَّل لألفاظ القرآن الكريم، مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها، (١٢٢٦/٣)، الطبعة الأولى، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠م.

قائمة المصادر والمراجع

- الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ.
- الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق: عبد الله حمد محارب، الطبعة الأولى، الخانجي، ١٩٩٤ م.
- آن روبول وجاك موشلار، التداولية علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس ومُحَمَّد الشيباني، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود مُحَمَّد الطناحي، الطبعة الأولى، المكتبة الإسلامية، ١٩٦٣م.
- أحمد شوقي، ديوان أحمد شوقي، الطبعة الأولى، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١١ م.
- أحمد مختار عمر، بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ م.
- الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م.
- أعشى همدان، شعر أعشى همدان وأخباره، تحقيق: حسن أبو ياسين، الطبعة الأولى، دار العلوم للطّباعة والنّشر، الرياض، ١٩٨٣م.
- أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ترجمة: أحمد الصمعي، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٥م.
- ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب.
- محمود سامي البارودي، ديوان محمود سامي البارودي، الطبعة الأولى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤م.

- ف، بالمر، علم الدلالة، ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٨٥م.
- البحتري، ديوان البحتري، تحقيق: حسن الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
- البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- أبو بكر الصديق، ديوان أبي بكر الصِّدِّيق، تحقيق: راجي الأسمر، الطبعة الثالثة، دار صادر للطّباعة والنّشر، بيروت، ٢٠٠٧م.
- الخطيب التّبريزيّ، شرح ديوان أبي تمّام، تحقيق: مُحَمَّد عبده عزام، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة.
- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء.
- جاك موشلار، وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: مجموعة من الأساتذة بإشراف عز الدين المجدوب، الطبعة الثانية، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠م.
- جرير بن عطية الكلبي، شرح ديوان جرير، تحقيق: مُحَمَّد إسماعيل الصاوي، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
- جواد ختام، التداولية، أصولها واتجاهاتها، الطبعة الأولى، دار كنوز المعرفة، ٢٠١٦م.
- جيني توماس، المعنى في لغة الحوار، مدخل إلى البرجماتية (التداولية)، ترجمة: نازك عبد الفتاح، الطبعة الأولى، دار الزهراء، الرياض، ٢٠١٠م.
- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن باز، دار المعرفة، بيروت.

- أحمد بن حنبل، مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م.
- أحمد بن الحسين ابن الخباز، توجيه اللُّمَع، شرح كتاب اللُّمَع لابن جني، تحقيق: فايز زكي، الطبعة الأولى، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، الطبعة الأولى، بيت الحكمة، الجزائر، ٢٠٠٩م.
- ابن درّاج القَسْطلي، ديوان ابن درّاج القسطلي، الطبعة الأولى، تحقيق: محمود مكيّ، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٦١م.
- رؤبة بن العجاج، ديوان رؤبة بن العجاج، تحقيق: وليم البروسي، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت.
- الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الطبعة الأولى، دار الفكر، لبنان، ١٩٨١م.
- مُحَمَّد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ مُحَمَّد، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦م.
- ابن الرومي، ديوان ابن الرومي، تحقيق: حسين نصار، الطبعة الثالثة، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- الزمخشري: الفائق في غريب الحديث، (٢/ ٢٩٩)، تحقيق: علي مُحَمَّد البجاوي، وآخر، الطبعة الثانية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، وفتحي حجازي، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨م.

- زهير بن جناب الكلبيّ، ديوان زهير بن جناب الكلبيّ، تحقيق: مُحَمَّد البيطار، الطبعة الأولى، دار صادر للطّباعة والنّشر، بيروت، ١٩٩٩م.
- سعيد بن منصور، التفسير من سنن سعيد بن منصور، تحقيق: سعد آل حميد، وخالد الجريسي، الطبعة الأولى، دار الألوكة للنشر، الرياض، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.
- أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.
- ابن سيده، المخصص، تحقيق: خليل جفال، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م.
- أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، (٤/ ٤٣٤)، تحقيق: إبراهيم الزيبق، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م.
- الشَّريف الرضي، ديوان الشَّريف الرضي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، الطبعة الأولى، سلسلة التراث، وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية.
- الششتري، ديوان أبي الحسن الششتري، تحقيق: علي سامي النشار، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر.
- الشعراني، اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.

مُحَمَّد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، جدة.

- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، الطبعة الثالثة، مطبعة المدني بالقاهرة، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
- مُحَمَّد بن صالح العثيمين، الشرح الممتع، الطبعة الأولى، تحقيق: عمر الحفيان، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام، ٢٠٠١ م.

– علي بن مُحَمَّد الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، (٣/ ٣٣٩)، تحقيق: عبد السلام شاهين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.
– بدر الدين العيني، عمدة القاري، شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر.
– فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م.
– فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، الطبعة الأولى، دار الحوار، سورية، ٢٠٠٧م.
– ابن قُتَيْبَة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
– القرطبي، مختصر التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق: فتحي الجندي، الطبعة الأولى، دار العاصمة، الرياض، ١٩٩٧م.
– كلود جرمان، ريمون لوبلون، علم الدلالة، ترجمة: نور الهدى لوشن، الطبعة الأولى، منشورات جامعة قاريونس، بني غازي، ١٩٩٧م.
– لَبِيد بن ربيعة، ديوان لَبِيد بن ربيعة، شرح الطوسي، تحقيق: حنا نصر الحتّي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.
– المبرد، الكامل، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م.
– مجموعة مؤلفين، رسائل البلغاء، (١/ ٢٤٢)، دار الكتب العربية الكبرى، القاهرة، ١٩١٣م.
– مُحَمَّد أحمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨م
– محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠١١م.

- مُحَمَّد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المُؤَصَّل لألفاظ القرآن الكريم، مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها، الطبعة الأولى، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠م.
- مُحَمَّد بن الحسن بن حمدون البغدادي، التذكرة الحمدونية، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٤١٧ هـ.
- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي البلاغي، الطبعة الأولى، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٥م.
- المسعودي، مروج الذهب، تحقيق: كمال مرعي، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥م.
- مُقاتِل بن سليمان، تفسير مقاتل، تحقيق: عبد الله شحاته، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م.
- ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، تحقيق: عزة حسن، دار الشّرق العربيّ، بيروت، ١٩٩٥م.
- مولز، وزيلتمان، وأوريكيوني، في التداولية المعاصرة والتواصل، فصول مختارة، ترجمة: مُحَمَّد نظيف، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء.
- النووي، كتاب الأذكار، تحقيق: بشير مُحَمَّد عيون، الطبعة الرابعة، مكتبة دار البيان، بيروت، ٢٠٠٧م.
- الهروي، كتاب الغريبين في القرآن والحديث، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- يحيى الجبوري، لبيد بن ربيعة العامري، الطبعة الثالثة، دار القلم، الكويت، ١٩٨٣م.